

الإدغام؛ مفهومه وإنواعه في سورة المائدة — دراسة في العلاقة بين الأداء النطقي والدلالة الصوتية —

محمد بولخطوط، جامعة محمّد الصديق بن يحيى-جبل، الجزائر.

تاريخ الإرسال: 2017/11/07 تاريخ القبول: 2018/02/02 تاريخ النشر: 2018/06/12

ملخص

الإدغام ظاهرة صوتية، الغاية منها تحقيق التناسب والتماثل الصوتي، وبالتالي الجنوح نحو التيسير والتخفيف النطقي، كما تختلف أنواعها باختلاف حروفها (المدغم والمدغم فيه)، أما عن وظيفتها فإن لأدائها النطقي علاقة لا يمكن إنكارها بدلالاتها الصوتية؛ هذه الدلالة التي لم تخرج صورها في نص سورة المائدة عن إحدى اثنتين: إما أن تكون لها نصيب من اسمها: إذ يدل الإدغام على معنى الإدخال والامتزاج، وإما أن تكون لدلالة الظاهرة علاقة بخصائصها الفسيولوجية (بغنة أو غيرها)، فكما هو معلوم أن الغنة يستغرق النطق بها مدة معينة مما يوحي بمعاني كثيرة من قبيل: الطول، الامتداد، الاتساع، الديمومة والشمولية... الخ، تماماً كما هو الحال مع الإدغام الناقص مثلاً، أما انعدام الغنة فيشكل دلالات مخالفة على غرار: القطعية، الأنية، الفورية، العجلة. وكذا معنى الالتصاق لعدم وجود فاصل أو مسافة زمنية بتن الحرفين المدغمتين، وهذا هو شأن الإدغام التام والإدغام الصغير والكبير، وكذا الإدغام التماثل والمتجانس والمتقارب... الخ.

الكلمات المفتاحية: الإدغام - الدلالة الصوتية - التناسب الصوتي - سورة المائدة.

Résumé

Slurring is a sonic phenomenon the purpose of which is to achieve proportionality and sound symmetry and thus the inclination towards the facilitation and mitigation of pronunciation. There exist different types of slurring, which in turn vary according to the letters involved (the mutant and or the merged letters). As for its function, it is worth mentioning that its sonic performance is undeniably related to its phonetic significance. The forms of this significance in Surah el_maïda didn't stray out of two cases: either as its name indicates; since slurring typically implies merging and mixing, or relating to the physiological characteristics of the phenomenon itself (with or

without “ghona”; and “ghona” is the Arabic term for a nasal sound usually produced when merging two letters or so.)

Moreover, as it is known, producing the “ghona” sound takes a specific amount of time, which suggests many meanings such as, the length, extension, breadth, permanence, inclusiveness, etc., just as in the case of incomplete slurring. The absence of “ghona”, however, indicates different meanings namely: separation, instantaneity, immediacy, urgency, as well as the coalescence of the two slurred letters due to the lack of any timed distance in between, and that is the case with yet other types of slurring like, complete slurring, major and minor slurring, homogeneous slurring, convergent slurring, etc.

Mots-clés: Slurring -phonetic significance -facilitation of pronunciation -Surah el_maïda.

مقدمة:

مما لا شكّ فيه أنّ اللغة العربية واحدة من اللغات التي ترمي إلى تحقيق التناسب والتجانس بين الأصوات، وتميل إلى الخفة والسلاسة والسهولة في النطق، ولعلّ من بين الظواهر الصوتية التي توظفها هذه اللغة من أجل بلوغ هذه الغاية ظاهرة الإدغام. فما هو المقصود بالإدغام؟ وفيما تتمثل أنواعه؟ ثمّ كيف يمكن الوصول إلى علاقة أداء هذه الظاهرة بدلالاتها الصوتية على مستوى سورة المائدة؟

أولاً: مفهوم الإدغام:

1 - تعريفه في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط: «الإدغام: إدخال الشيء في الشيء، يقال: أدغم اللّجام في فم الدّابة، وأدغم الحرف في الحرف (...)، والأدغم: الأسود الأنف، ومن يتكلم قبّل أنفه، ودغم: الحرّ والبزْد، ودغم الغيث الأرض: غمرها...»⁽¹⁾، فالإدغام في اللغة هو: الإدخال والمزج، وهو من الألفاظ المتضادة.

2 - تعريفه في الاصطلاح:

يعرّف «الكيلاني» الإدغام مبيناً مفهومه، أقسامه وحروفه مع النون الساكنة والتنوين(*) فيقول: «هو إدخال حرفٍ ساكنٍ في حرفٍ متحركٍ، بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً، والإدغام قسمين: قسم بغنة وقسم بغير غنة، والإدغام لا يكون إلّا من

كلمتين، وحروف الإدغام بقسميه ستة مجموعة في أحرف: 'يرملون'،⁽²⁾

إذن فالإدغام لا يحصل إذا كان في كلمة واحدة، ولأجل ذلك فإنّ النون الساكنة لا تُدغم في «الواو والياء إذا اجتمعا في كلمة واحدة، فإن حصل ذلك امتنع الإدغام ويسمى إظهارا مطلقا (شادا)، لعدم تقيده بالحلقى أو الشفوي (...)، ولم يقع في القرآن إلّا في أربع كلمات هي: ﴿الدُّنْيَا﴾ البقرة/85، ﴿صُنُوءٌ﴾ الرعد/04، ﴿قِنُوءٌ﴾ الأنعام/100، ﴿بُنْيَانٌ﴾ الصف/04، وتظهر «النون» عند هذين الحرفين لئلا يلتبس بالمضاعف، وهو ما تكرر أحد أصوله مثل: «صُوءٌ»، «الدُّيَا»، فلو أدغمت لما فرق السامع بين ما أصله النون، وبين ما أصله التضعيف، وكذلك للمحافظة على المعنى، إذ لو أدغمت لأعطيت معنى آخر.»⁽³⁾

ثانيا: أصل الإدغام:

الأصل في الإدغام أن يُدخَلَ الحرف الأول الساكن في الثاني المتحرك في المثلين، ويحوّل الأول الساكن إلى لفظ الثاني ويدغم فيه، وقد يكون الأول متحركا فيسكن ويدغم في الثاني، وقد يدغم الثاني في الأول في بعض الحالات إلّا أنّه ليس أصلا في الإدغام.⁽⁴⁾ كما أنّ أصل الإدغام أن: «يؤثر الأقوى مخرجا أو صفة في الآخر، فيصبغ عليه بعض الصفات أو كلّها.»⁽⁵⁾

ثالثا: علة الإدغام:

يقول «عبد البديع النيرباني» في معرض حديثه عن علة الإدغام: «إنّ السبب الرئيسي الذي يدعو إلى الإدغام هو التخفيف، لأنّ اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه، ثم عاد مرّة أخرى إلى المخرج بعينه ليلفظ بحرف آخر مثله صعب عليه ذلك.»⁽⁶⁾

يفهم من خلال هذا الكلام أنّ علة الإدغام تكمن في الجنوح نحو التسهيل والتخفيف والنفور من الاستثقال في النطق، ويكون ذلك لضرب من التماثل أو التجانس أو لضرب من التقارب في المخرج الصوتي، وهذا ما سيتمّ التفصيل فيه أكثر خلال الحديث عن أنواع الإدغام من حيث العلة.

رابعا: كيفية الإدغام:

يمكن إيجاز كيفية الإدغام في نقطتين أساسيتين هما:⁽⁷⁾

- 1 - إذا كان الحرفان متماثلين (**)، فيدغم الأوّل في الثاني.
- 2 - أمّا إذا كان متقاربين (***) أو متجانسين (****)، فيتمّ قلب الحرف الأوّل حرفا مماثلا

لثاني، ثم يتم الإدغام.

خامسا: أنواع الإدغام:

يختلف الإدغام من حيث نوعه باختلاف المعايير المعتمدة في النظر إليه، ولأجل ذلك يمكن التمييز بين الأنواع التالية:

1- الإدغام مع النون الساكنة والتنوين (الإدغام من حيث الغنة أو عدمها):

للنون الساكنة أو التنوين أربعة أحكام، حدّدها «ابن جزري» في النظم التالي، وبين الحروف الخاصّة بكلّ حكم منها، وما ينقسم منها وما لا ينقسم، وما تلحقه الغنة وما لا تلحقه، يقول: ⁽⁸⁾

❖	وَحُكْمُ تَنْوِينِ وَنُونٍ يُلْفَى	❖	إِظْهَارٌ، إِدْغَامٌ، وَقَلْبٌ، إِخْفَا
❖	فَعِنْدَ حَرْفِ الْحَلْقِ أَظْهَرَ، وَأَدْغَمَ	❖	فِي اللَّامِ وَالرَّاءِ لَا بَغْنَةً لَزِمَ
❖	وَأَدْغَمَ بَغْنَةً فِي: يَوْمٍ	❖	إِلَّا بِكَلِمَةٍ كَ: دُنْيَا عَنُونُوا
❖	وَالْقَلْبُ عِنْدَ الْبَا بَغْنَةً، كَذَا	❖	الإخفا لدى باقي الحروف أخذًا

إذن، من بين أحكام النون الساكنة والتنوين: الإدغام، حيث ينقسم باعتبار ظهور الغنة، وعدمها إلى نوعين أو قسمين هما:

أ / الإدغام بغنة:

وهو أن يقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من هذه الأحرف الأربعة والتي هي: «الياء» و«النون» و«الميم» و«الواو» المجموعة في كلمة (ينمو) أو (يومن)، فإذا: «وقع حرف من هذه الأحرف بعد النون الساكنة بشرط أن تكون النون في كلمة، والحرف بعدها في الكلمة التي تليها، أو وقع حرف من هذه الأحرف بعد التنوين ولا يكونان إلا في كلمتين، وجب أن تدغم النون والتنوين في هذا الحرف مع الغنة.» ⁽⁹⁾

ويطلق علماء التجويد على هذا النوع من الإدغام: «الإدغام الناقص»؛ أي الذي «لم يستكمل التشديد لأن الغنة منعت من كماله، أو يسّى بذلك لذهاب الحرف وهو النون والتنوين، وبقاء صفته وهي الغنة.» ⁽¹⁰⁾

أمّا عن سبب إدغام النون الساكنة والتنوين مع هذه الأحرف، فتحصرها الباحثة «سعاد عبد الحميد» في ثلاثة أسباب يتم التفصيل فيها لاحقا إن شاء الله تعالى، وهي: ⁽¹¹⁾

1- التماثل مع «النون».

2- التجانس مع «الميم» في مخرج الغنة وفي جميع الصفات، وكذا التقارب النسبي في المخرج.

3- التقارب النسبي مع «الواو» و«الياء» في المخرج، وكذا التقارب في الصفة. فإذا كان الحرفان من عضو واحد، وفصل بينهما مخرج أو أكثر، أو كان من عضوين مختلفين فإنَّ المسوَّغ للإدغام يكون التقارب النسبي.

ب / الإدغام بغير غنة:

وهو أن يقع بعد النون الساكنة أو التنوين أحد هذين الحرفين: «اللام» و«الراء»، فإذا وقع أحد هذين الحرفين بعد «النون» بشرط أن يكونا في كلمتين، أو بعد التنوين ولا يكونان إلّا في كلمتين «وجب إدغام النون أو التنوين في اللام والراء إدغاما كاملا بغير غنة، بأن يُبدل كلٌّ من النون الساكنة أو التنوين لامًا ساكنة عند اللام وراء ساكنة عند الراء، ويدغم فيما بعده إدغاما تاما».⁽¹²⁾

ويطلق علماء التجويد على هذا النوع من الإدغام اسم: «الإدغام الكامل/ التام»، وذلك «لعدم وجود الغنة التي تمنع —ن كمال التشديد، أو لذهاب الحرف المدغم وصفته معا».⁽¹³⁾

ويحدّد «ابن جزري» علّة إدغام النون الساكنة والتنوين مع «اللام» و«الراء» بقوله: «قربهما من مخرجهما، لأنّهنّ من حروف طرف اللسان، فتَمَكَّن الإدغام وحَسَنَ لتقارب المخارج، وذهبت الغنة لأنّ حقّ الإدغام ذهاب لفظ الحرف الأوّل بكليته وتصغيره بلفظ الثاني».⁽¹⁴⁾

أمّا فيما يخصّ أنواع الإدغام من حيث الحركة والسكون، وكذا من حيث العلّة والسبب، فسيتمّ الحديث عنها في مكانها بإذنه تعالى، وذلك لكونها خاصة بجميع حروف الهجاء، وغير مقتصرة على «النون» الخيشومية والتنوين، كما هو الحال مع الإدغام الناقص والإدغام الكامل (التام).

ج / الإدغام (الناقص + التام): الأداء والدلالة:

يقول «محمّد شملول» بشأن دلالة الإدغام مع النون الساكنة أو التنوين بنوعيه: الناقص والتام: «إنّ الإدغام الناقص بغنة يحتوي على مسافة زمنية، تساعد في إبراز المعنى من ناحية أنّه يوجد امتداد أو طول أو اتّساع المعنى أو عدم العجلة... الخ، أمّا في حالة الإدغام الكامل بدون غنة فإنّ هذا يساعد في إبراز المعنى، بأنّه لا توجد مسافة زمنية وبالتالي فإنّ الأمر قطعي وبدون زمن (...) وتعتبر الكلمتان ملتصقتين

التصاقا كاملا وبدون أي فاصل بينهما»⁽¹⁵⁾، ولتوضيح هذا المعنى نسوق الأمثلة والنماذج التالية من سورة المائدة، نحاول من خلالها عقد علاقة بين أداء الظاهرة ودلالاتها الصوتية على مستوى هذه السورة الكريمة:

* قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَنَّ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية/19.

وقع الإدغام في هذه الآية عند ثلاثة مواضع، وهو في جميعها إدغاما ناقصا بغنة مما يوحي بمعنى الامتداد والطول، ففي قوله تعالى: ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ﴾ وقع الإدغام الناقص فيه بين التنوين و«الميم» وفي هذا الإدغام مسافة زمنية تدل على طول مدة انقطاع الرسل: فبين سيدنا «عيسى» عليه السلام وآخر رسول أرسل، وهو سيدنا «محمد» (صلى الله عليه وسلم) مدة طويلة فُدرت كما جاء في «صفوة التفاسير» بـ: «خمس مائة وستون سنة»⁽¹⁶⁾، وهناك خلافات كثيرة في مدة هذه الفترة التي انقطع فيها الرسل، جمعها «ابن كثير» في «تفسير القرآن العظيم»⁽¹⁷⁾، ولا شأن لنا في هذا المقام بهذه الخلافات، لأن ما هو متفق عليه أن مدة انقطاع الرسل مدة طويلة وممتدة، وهذه الدلالة تتناسب مع الإدغام الناقص الذي يستغرق نطقه مسافة زمنية بسبب الغنة التي تلازمه.

وما يقال أيضا على هذا الموضع ينطبق على قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ أو ﴿بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾؛ ففي كليهما إدغام ناقص بين التنوين و«الواو»، فمن صفاته (صلى الله عليه وسلم) أنه أرسل مبشرا ونذيرا في الآن نفسه للناس أجمعين وسيظل كذلك إلى يوم الدين - أي بشيرا ونذيرا - فهو لم يبشر أصحابه (صلى الله عليه وسلم) فقط، ولم ينذر المشركين والكفار فحسب، بل إن بشارته ونذارته ممتدة منذ حمله لرسالة الإسلام إلى يوم البعث شاملا بها كل البشر، إذن فدلالة الإدغام هنا هي: ديمومة التبشير والإنذار واستمراريتهما.

* قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنِّ فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُكَ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ الآية/22.

وهو كلام قوم «موسى بن عمران» عليه السلام، الذي أمرهم بدخول الأرض المقدسة آمنين مطمئنين بأمر من الله تعالى، مع الاستعداد لقتال من يقاتلهم من أهلها، إلا أنهم لما غلب عليهم الضعف والدل واضطهاد المصريين لهم وظلمهم إيّاهم، أبوا وتمردوا واعتذروا بضعفهم وقوة أهل تلك البلاد (بنو عناق) وقالوا: إِنَّا لَنَنذُرُكَ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا

هذه الأرض على طول وجود هؤلاء الجبارين فيها، وفي ذلك ما يتماشى مع دلالة الإدغام الناقص بغنة، الواقع في هذه الآية بين النون الساكنة والنون المتحركة، والذي يستدعي النطق به مسافة زمنية محدّدة.

* قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ الآية/26.

وقع الإدغام في هذه الآية عند موضع واحد، وهو هنا إدغاما ناقصا بين التنوين و«الياء»، وهو إدغام يستلزم النطق به مع الغنة التي تستغرق فترة من الزمن؛ وفي ذلك ما يتوافق مع طول فترة تحريم الله تعالى على بني إسرائيل؛ إذ منعهم من دخول الأرض المقدسة مدة أربعين سنة يتيمون في الأرض متحيرين لا يدرون إلى أين مصيرهم، كما يمكن أن نفسّر دلالة الإدغام هنا بالنظر إليه على أنه إدغاما ناقص، فعلى الرغم من طول فترة التحريم هذه إلا أنّها فترة محدودة لها بداية ونهاية (أربعين سنة)؛ بمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى لم يمنع على بني إسرائيل الدخول إلى الأرض المقدسة على طول هذه الحياة.

* يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الآية/39.

يظهر هنا الإدغام الكامل بين «التنوين» و«الراء»، وهو إدغام بغير غنة؛ دليل على عدم وجود انفصال بين كلمة (غَفُورٌ) وكلمة (رَحِيمٌ)، فالله جلّ جلاله غافر الذنب واسع المغفرة، وهذه من أسمائه وصفاته سبحانه التامة فيه، فالإدغام هنا يوحي بمعنى القطعية، وهو أيضا إدغاما كاملا وفي ذلك دلالة على أنّ صفتي: المغفرة والرحمة تامتان في الذات الإلهية، فلا يمكن لأيّ مخلوق على وجه الأرض أن تضاهي مغفرته ورحمته مغفرة ورحمة الخالق عزّ وجلّ؛ فلا بدّ أن يشوب النقص مغفرة ورحمة العبد مهما كان متسامحا عفواً.

* قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الآية /91.

للإدغام نصيب من اسمه في الدلالة، فكما أشرنا أنّ الإدغام يعني الإدخال، وهذا يتناسب مع الإدغام الناقص الواقع بين النون الساكنة و«الياء» في الآية السابقة عند قوله تعالى: ﴿أَنْ يُوقِعَ﴾، فمعلوم أنّ الشيطان حريص كلّ الحرص على إدخال وزرع العداوة والبغضاء بين أولئك المؤمنين الذين أقدموا على شرب الخمر ولعب القمار، وصرفهم عن ذكر الله وعن الصلاة لذهاب عقولهم وأموالهم جزاء فعلهم لهذه

الفواحي.

* قال الله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ الآية/115.

وقع الإدغام في هذه الآية عند ثلاثة مواضع: الإدغام الناقص عند قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ﴾ النون الساكنة مع «الياء» و﴿أَحَدًا مِّنْ﴾ التنوين مع «الميم»، والإدغام الكامل عند قوله تعالى: ﴿عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ﴾ التنوين مع «اللام». فالإدغام الناقص هنا يدلّ على: الاستمرارية والامتداد والطول؛ أي أنّ الله سبحانه وتعالى وعد الحواريين بتنزيل المائدة وتوعدهم - في المقابل - بالعذاب الشديد الذي لا مثيل له على طول وامتداد الحياة الدنيا، إذا ما استمروا في كفرهم وعدم تصديقهم لآياته ومعجزاته سبحانه وتعالى.

أمّا فيما يتعلّق بالإدغام الكامل فإنّ الكلمتين الواقع بينهما هذا الإدغام متصلتان اتصالاً تاماً من الناحية النطقية ومن الناحية الدلالية، لعدم وجود الغنة بينهما حيث تقرأ كلمة واحدة هكذا: «عَذَابًا»، ممّا يوحي بفورية وقطعية وقوع العذاب الشديد، وأنّه قائم وواقع لا محالة.

* قال المولى عزّ وجلّ: ﴿وَكُنْتُ عَلِيمٌ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ الآية /117.

جاء الإدغام هنا ناقصاً بين التنوين و«الميم» ليدلّ على الامتداد والطول أيضاً، حيث يخبرنا الله سبحانه وتعالى على لسان «عيسى بن مريم» ردّ هذا الأخير على سؤال ربّه مبرّأً نفسه، إذ قال لربّه أنّ مراقبته لقومه قد استمرت على طول وامتداد فترة وجوده بينهم، لتستمرّ بعد موته مراقبته لهم وحده سبحانه وتعالى، ويتناسب هذا المعنى مع غنة الإدغام الناقص التي يترتب عليها أثناء النطق به مسافة زمنية تقدّر بحركتين.

2. الإدغام مع الميم الساكنة (الإدغام الشفوي):

ويكون عند حرف واحد فقط وهو «الميم»، وذلك إذا: «وقع بعد الميم الساكنة(****) ميم متحركة تُدغم فيه بغنة، ويسمّى إدغام مثليين صغير.»⁽¹⁸⁾

ويمكن تفكيك هذا التعريف من خلال ذكر مختلف المصطلحات المعطاة لهذا الحكم؛ فقد سمّي الإدغام الشفوي إدغاما أولاً: لإدغام وإدخال الميم الساكنة في الميم المتحركة بعدها، وسمّي متمثلين ثانياً لأنهما حرفان اتّحدا مخرجا وصفة، اسما ورسمًا، وسمّي صغيرا ثالثاً: لأنّ الأوّل منهما ساكن والآخر متحرك وكذلك لأنّه لا يحتاج إلى عمل كثير؛ إذ يتمّ إدخال الساكن في المتحرك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدّداً من جنس

الثاني، هذا وسيتمّ التفصيل في ذلك فيما سيأتي من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

أ / نماذج من الإدغام الشفوي في سورة المائدة:

عدد حالات الإدغام الشفوي في سورة المائدة هو: خمس وعشرون حالة، وهي في جميعها لغرض واحد ألا وهو: تحقيق التماثل الصوتي؛ لمجاورة الميم الساكنة فيه ميمًا أخرى مثلها متحركة بأحد الحركات الثلاث، ولذا تسمّى هذه الظاهرة أيضًا «الإدغام الصغير المتماثل» كما أشرنا سابقًا، ومن أمثلة هذه الظاهرة في سورة المائدة: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ الآية/9، ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ الآية/20، ﴿قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ الآية/52، ﴿أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً﴾ الآية/82، ﴿مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ الآية/95، ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ الآية/106،... الخ.

ب / الإدغام الشفوي: الأداء والدلالة:

نظرا لاختصاص هذه الظاهرة بحرف واحد فقط وهو حرف «الميم»، سنكتفي في هذا المقام بذكر دلالة حالة واحدة فحسب منه، تجنّبا للتكرار والحشو الذي لا طائل منه.

* قال الله عزّ وجلّ في محكم تنزيله: ﴿فَتَمَرَّيَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ الآية/54.

يظهر الإدغام الشفوي في هذه الآية بين كلمتين وهما: «قُلُوبِهِمْ» المنتهية بميم ساكنة و«مَرَضٌ» المبدوءة بميم متحركة بالفتح، وللإدغام - كما أسلفنا - نصيب من اسمه في الدلالة، وهذا مناسب للمقام وموضح للمعنى المراد، وفي الآية السابقة حديث عن تلك الفئة من النَّاسِ التي اعتلَّ إيمانها، ودخل في قلبها الشك والريب والنفاق، فلم تصل بذلك إلى مرتبة اليقين.

3. الإدغام باعتبار التحريك والتسكين:

تحدّثنا فيما سبق عن الإدغام وأقسامه بالنظر إليه من ناحية «الغنة»، وهي في الحقيقة أقسام خاصة بحروف الهجاء حال مجاورتها للنون الساكنة والتنوين فقط، وفيما يلي أنواعا أخرى للإدغام تشمل جميع حروف الهجاء دون توقفها على مجاورة حروف بعينها:

أ / **الإدغام الكبير (*****):** وهذا النوع من الإدغام لا يوجد عند الإمام «ورش» إلا في المتماثلين، ويقصد به: «أن يتحرّك الحرفان معا: المدغم والمدغم فيه نحو الرائيين في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ البقرة/185». (19)

ب / الإدغام الصغير: وأمّا هذا النوع فلا يوجد عند الإمام «ورش»، في المتماثلين فحسب، بل يتعدّاه إلى المتجانسين وكذا المتقاربين، كما سيأتي التفصيل فيما سيأتي من هذا المقال، هذا ويقصد بهذا النوع أن يكون «المدغم ساكنا والمدغم فيه متحركا نحو التائين في قوله تعالى: ﴿فَمَا رِبِحَتْ تَجَارَتُهُمْ﴾ البقرة/16»⁽²⁰⁾، وسَيَّ الأول كبيراً «لكثرة العمل فيه، وهو تسكين الحرف أولاً ثم إدغامه ثانياً»⁽²¹⁾ وسَيَّ الثاني صغيراً «لقلّة العمل فيه، وهو الإدغام فقط»⁽²²⁾.

ولا يذهب «ابن جني» بعيداً عن هذا التقسيم، حيث يتحدث عن الإدغام ويقسمه إلى إدغام أكبر وآخر أصغر، فأما الإدغام الأكبر فهو: «تقريب صوت من صوت ثم إدغامه فيه، وهو على ضربين: التقاء المتماثلين نحو: قطع وسكر، والتقاء المتقاربين على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام، فتقلب إحداهما إلى لفظ صاحبه وتدغمه فيه نحو: ودّ، فأصلها «وَدَّ»⁽²³⁾.

فـ «التاء» و«الدال» من مخرج واحد، إضافة إلى اشتراكهما في معظم الصفات الصوتية، وعلى هذا الأساس تمّ إدغام «التاء» المتحركة في «الدال» المتحركة فأصبحت حرفاً واحداً مشدّداً من جنس الثاني (دالا مشدّدة)، وهذا ما يعرف بالإدغام الكبير الذي سبقت الإشارة إليه.

أمّا الإدغام الأصغر عنده فهو: «تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك، وله ضروب عدّة منها: الإمالة وقلب تاء افتعل طاءً بعد أحرف الإطباق، وقلبيها دالا بعد الدال والذال والزاي، وقلب السين صاءً بعد الحرف المستعلي، وتقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق وغيرها»⁽²⁴⁾.

ويمكن أن نمثّل عن قلب تاء «افتعل» طاءً بعد أحرف الإطباق الأربعة (ص، ض، ط، ظ) بما يلي: اضطبر أصلها: اضطبر، اضطرب أصلها: اضطرب، اطّرد أصلها: اطّرد، اضطلم أصلها: اضطلم،... من الصبر والضرب والطرْد والظلم.

وأمّا عن قلب تاء «افتعل» دالا بعد الحروف الثلاثة (د، ذ، ز) فمثال ذلك: ادّعى وأصلها: ادتعى، اذكر وأصلها: اذتكر، ازداد وأصلها: ازتاد،... من دعا وذكر وزاد.

4 . الإدغام باعتبار السبب أو العلة:

الإدغام نوع من أنواع التقريب بين أصوات اللغة، وهو ضرب من «التأثير الواقع بين الأصوات المتجاورة حين اتصالها، سواء كانت هذه الأصوات متماثلة، أو متجانسة أو متقاربة، وهذا التأثير هو ما يعرف في الدرس اللغوي الحديث

بالمماثلة (*****)»⁽²⁵⁾

بناء على هذا، فإنّ حروف الهجاء تربط بينها علاقات وطيدة يمكن حصرها في أربعة أسباب وهي: التماثل، التجانس، التقارب والتباعد، فأما الثلاثة الأولى فالحكم فيها الإدغام، وأما الرابع فالحكم فيه الإظهار وينتج عن الأسباب الثلاثة الأولى ثلاثة أنواع للإدغام وهي: إدغام المتماثلين، إدغام المتجانسين وإدغام المتقاربين.

وهذه الأنواع الثلاثة نجدها تحت كلّ نوع من أنواع الإدغام، إذا ما نظرنا إلى الحرفين المدغمين من حيث الحركة والسكون، فهناك الإدغام الصغير، وهناك الإدغام الكبير، وهناك الإدغام المطلق، فنحصل من كلّ هذا على تسعة أنواع مختلفة للإدغام وهي: مثلين صغير، مثلين كبير، مثلين مطلق، متقاربين صغير، متقاربين كبير، متقاربين مطلق، متجانسين صغير، متجانسين كبير ومتجانسين مطلق، وسيأتي فيما بعد إن شاء الله التفصيل في هذه الأنواع. لكن لا بدّ من الإشارة أولاً إلى أنّ هناك اختلافاً جدياً دقيقاً بين جميع هذه الأنواع فيما يخصّ الإدغام الكبير والإدغام الصغير، فإذا كان الأوّل بين حرفين متحركين فإنّ الآخر بين ساكن فمتحرك، أما الثالث أي المطلق (*****) فهو عكس الصغير ففيه: «يتحرك الحرف الأوّل ويُسكّن الثاني، وحكمه الإظهار لا الإدغام»⁽²⁶⁾

وكما هو معلوم فإنّ الحرفين كلّما اقتربا صحّ إدغامهما، وكلّما ابتعدا صحّ إظهارهما وامتنع إدغامهما، وبالتالي فالتباعد خاص بالإظهار لا بالإدغام، وهو مصطلح يطلق على الحرفين اللذين «تباعدا في المخرج واختلفا في الصفة»⁽²⁷⁾، وينتج عنه هو الآخر ثلاثة أنواع: متباعدين صغير، متباعدين كبير ومتباعدين مطلق. والنتيجة: أنّ الحرفين إذا كانا مخرجهما من عضوين مختلفين فهما في هذه الحالة متباعدان كأحرف الحلق مثلاً مع أحرف اللسان أو أحرف الشفا، أمّا إذا كانا من عضو واحد فهما حينها متقاربان هذا إن لم يكن يفصل بينهما مخرج خاص، كما هو الحال مع حروف الحلق مثلاً: فالتقارب حاصل بين أقصى الحلق ووسطه، في حين يحدث التباعد حينما يكون أقصى الحلق مع أدناه.

واليك الآن تعريفاً وجيزاً لهذه الأنواع أو الأقسام الثلاثة للإدغام باعتبار العلة، مع الإشارة إلى أنّها خاصة بالإدغام الصغير فقط؛ أي أنّ الحرف الأوّل من كلّ نوع من هذه الأنواع ساكن والحرف الثاني متحرك.

أ/ الإدغام المتماثل: وهو «اتحاد الحرفين مخرجاً وصفة»⁽²⁸⁾

ملاحظة: ويخرج من هذا التعريف كل من الواو والياء المديتان، فلا إدغام للواو المدية في

الواو، ولا الياء المدية في الياء، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
الكهف/107، وقوله: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ﴾ الناس/05.

وقد شاع في سورة المائدة «الإدغام الصغير المتماثل» (*****) في حرفين اثنين
هما: «الميم» و«النون»، فضلا عن حروف أخرى سيأتي تفصيلها في ذيل البحث.

ب/ الإدغام المتجانس: وهو اتحاد الحرفين مخرجا واختلافهما صفة، ويكون في الأحرف
النطعية والثبوية والشفوية: (29)

* الأحرف النطعية: تدغم التاء في الطاء والعكس، والتاء في الدال والعكس، والتاء في
الظاء.

* الأحرف الثبوية: تدغم التاء في الدال، والدال في الظاء.

* الأحرف الشفوية: تدغم الباء في الميم.

أما بقية المواضع غير هذه المذكورة فحكمها الإظهار لا الإدغام.

وتجنباً للوقوع في التكرار ارتأيت تأخير نماذج هذا النوع من الإدغام عند
الإمام «ورش» في سورة المائدة إلى أحكام الإدغام الصغير عند «ورش».

ج/ الإدغام المتقارب: وهو «تقارب الحرفين مخرجا وصفة كالذال والزاي نحو:
﴿وَإِذْ زَيَّنَّا الْأَنْفَالَ/49 أو تقاربهما مخرجا لا صفة كالذال والسين نحو: ﴿قَدْ
سَمِعَ﴾ المجادلة/01، أو تقاربهما صفة لا مخرجا كالذال والجيم نحو: ﴿إِذْ جَاءُوكُمُ﴾
الأحزاب/10. (30)

ملاحظة: ليس كل حرفين حدث بينهما تقارب في المخرج أو الصفة جاز إدغامهما، وإنما
يدغم ما نُصَّ عليه ونُقِلَ عن القراء إدغامه. وإليك الآن أحكام الإدغام الصغير عند
الإمام «ورش» رحمه الله تعالى.

* أحكام الإدغام الصغير في رواية «ورش»:

يمكن أن نقسم أحكام الإدغام الصغير عند الإمام «ورش» إلى خمسة أقسام
اختلف فيها القراء بين مظهرٍ ومُدغمٍ، متفقين في مواضع ومختلفين في أخرى، وفيما يلي
تفصيل هذه الأحكام كما قرأها الإمام «ورش»:

1 - حكم ذالٍ إِذْ: وقعت ذالٍ إِذْ قبل ثمانية أحرف وهي: «التاء، الزاي، الصاد، الدال،
السين، الجيم، الظاء والذال، وقد اتفق جميع القراء على إدغام ذالٍ إِذْ في الذال
والظاء، واختلفوا في بقية الحروف، في حين أظهرها ورش عند الستة الباقية. (31)، ومن
أمثلة هذا الحكم في سورة المائدة النماذج التالية:

قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ الآية/20، و﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي... وَإِذْ تَخْرِجُ الْمُوتَىٰ بِإِذْنِي... إِذْ جِئْتُمُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الآية/110. وحكم ذال «إذ» في جميع هذه الحالات عند «ورش» الإظهار لا الإدغام، وعلى الرغم من تقارب «الذال» و«الجيم» صفة لا مخرجا، فإن الإمام «ورش» لم يدغم «الذال» في «الجيم»، وإنما أظهرها عندها مخالفا في ذلك بعض القراء الذين أدغموا «الذال» الساكنة في «الجيم» المتحركة.

2 - حكم دال قد ولقد: وقعت دال قد ولقد في القرآن الكريم قبل عشرة أحرف وهي «السين، الذال، الضاد، الظاء، الزاي، الجيم، الصاد، الشين، التاء والذال، واتفق جميع القراء على إدغام دال قد في الدال والتاء واختلفوا في بقية الحروف، في حين أدغمها «ورش» في حرفين آخرين هما: الضاد والطاء، وأظهرها عند البقية.»⁽³²⁾

ومن نماذج هذه الحالة في سورة المائدة ما يلي:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ الآية/12، والحكم هنا عند الإمام «ورش» الإدغام لا الإظهار، ويسمى هذا الإدغام: إدغاما صغيرا متقاربا، وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ الآية/15، وقوله أيضا: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ الآية/15، وقوله أيضا: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا... فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ الآية/19 و﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الآية/32، وحكم دال «قد» مع «الجيم» في جميع هذه المواضع عند الإمام «ورش» الإظهار لا الإدغام.

أما قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾ الآية/61، فحكم دال «قد» هنا الإدغام لمجاورتها الدال المتحركة، ويسمى هذا النوع من الإدغام: إدغاما صغيرا متماثلا، وفي موضع آخر من السورة يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ الآية/77، وحكم دال «قد» مع «الضاد» عند الإمام «ورش» الإدغام لا الإظهار، وهو إدغام صغير متقارب، وقوله عز وجل في آية أخرى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ الآية/102، فعلى الرغم من وجود تقارب لدال «قد» من «السين» مخرجا لا صفة، غير أن الإمام «ورش» رحمه الله أظهر «الدال» مع «السين»، ولم يدغمها مخالفا في ذلك بعض القراء، وقوله أيضا: ﴿وَنَعْلَمُ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهِمُ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ الآية/113، والحكم هنا الإظهار لا الإدغام.

3 - حكم لام هل وبل: وقعت «لام» هل وبل قبل عشرة أحرف وهي: «التاء، الطاء، الزاي، السين، النون، الطاء، الضاد، اللام والراء» وقد وقعت لام بل قبل جميع الأحرف

المذكورة ما عدا التاء، في حين لم تقع لام هل إلا قبل أربعة أحرف وهي: النون، التاء، التاء واللام، وقد اتفق جميع القراء على إدغام لام

بل في اللام والراء وعلى إدغام لام هل في اللام، ولم تقع لام هل قبل الراء في القرآن الكريم، وأظهروها عند البقية⁽³³⁾، ومن أمثلة هذه الحالة في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا﴾ الآية/59، وحكم لام «هل» مع «التاء» عند «ورش» هو: الإظهار لا الإدغام.

4 - حكم تاء التأنيث: وقعت تاء التأنيث في القرآن الكريم قبل تسعة أحرف وهي «السين، التاء، الصاد، الزاي، الظاء، الجيم، التاء، الدال والطاء»، وقد اتفق جميع القراء على إدغام تاء التأنيث في ثلاثة أحرف من التسعة وهي: التاء والدال والطاء، واختلفوا في بقية الأحرف، في حين أدغمها «ورش» في حرف آخر وهو الظاء وأظهرها عند البقية⁽³⁴⁾، ولا وجود لهذا الحكم في سورة المائدة.

5 - أحكام بعض الحروف التي قُرِئَتْ مخارجها: جملة ما تقارب من الحروف مخرجها واختلف القراء فيها من حيث الإظهار والإدغام هي عشرة أحرف: الباء، التاء، الدال، الذال، الراء، الطاء، الفاء، القاف، اللام والنون، وبيان حكم كل منها في رواية «ورش» كما يلي:

أ/ ما حكمه الإظهار: ما كان حكمه الإظهار من الأحرف العشرة المذكورة عند مجاورتها لأحرف أخرى بعينها في مقرأ الإمام «ورش» هي سبعة: الباء مع الفاء والميم، التاء مع التاء والذال، الدال مع التاء والذال، الذال مع التاء فقط باستثناء لفظ «الاتخاذ» ومشتقاته، ففيه الإدغام لا الإظهار، الراء مع اللام حيث وقع، الفاء مع الباء واللام مع الذال فقط، أما إذا وقعت هذه الأحرف السبعة مع غير ما ذكرناه فإن الحكم فيها عند الإمام «ورش» هو الإدغام دون سواه⁽³⁵⁾، ومن أمثلة هذه الحالة في سورة المائدة قوله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي... وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ الآية/110، وفيها إظهار «الذال» الساكنة مع «التاء» المتحركة.

وقوله أيضا في موضع آخر: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الآية/118، وفيها إظهار «الراء» الساكنة مع «اللام» المتحركة.

ب/ ما حكمه الإدغام: فضلا عن حالات الإدغام الواقعة في الحروف السبعة المذكورة، فلقد أدغم «ورش»: الطاء مع التاء إدغاما ناقصا مع إبقاء صفة الإطباق، وذلك في «بسطت» و«أحطت»، كما أدغم كذلك القاف في الكاف إدغاما تاما في كلمة «يخلقكم»، وأدغم أيضا النون في الواو كما هو الحال في فاتحة سورة يس⁽³⁶⁾.

ومن أمثلة هذا الحكم في نصّ سورة المائدة قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ الآية/28، قرأها «ورش» بإدغام «طاء» «بَسَطْتَ» في «التاء» بعدها هكذا: «بَسَتْ»، لتصبح تاء مشدّدة وهذا الإدغام إدغاما ناقصا، مع بقاء صفة الإطباق التي هي في «الطاء» المدغمة. و«الطاء» و«التاء» حرفان من مخرج واحد، وبالتالي فالإدغام بينهما هو إدغام صغير متجانس.

ج/ ما حكمه الوجهان: قرأ الإمام «ورش» فاتحة سورة القلم ﴿نُّ وَالْقَلَمِ﴾ بالوجهين: الإظهار والإدغام.⁽³⁷⁾

ملاحظة: اتفق الإمام «ورش» مع سائر القراء على إخفاء النون حال مجاورتها التاء وذلك في فاتحة سورة النمل ﴿طَسِ تِلْكَ﴾⁽³⁸⁾

* الإدغام المتمائل والمتجانس والمتقارب؛ الأداء والدلالة:

نورد فيما يلي نموذجا واحدا عن كلّ نوع من الإدغام، بهدف الوصول إلى مدى ارتباط دلالة الإدغام بأدائه، وفق الأحكام التي تقتضيها التلاوة القرآنية في سورة المائدة برواية «ورش عن نافع»:

1 - الإدغام الصغير المتمائل:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ الآية/61.

للإدغام كما رأينا نصيب من اسمه في الدلالة، فهو يوحي بمعنى الإدخال والامتزاج، وفي هذا المعنى ما يتماشى مع ما تشير إليه هذه الآية الكريمة؛ إذ فيها حديث عن صفة من صفات منافقي اليهود الذين كانوا يتظاهرون بالإيمان، غير أنّ قلوبهم قد دخل فيها الكفر، فلم ينفعهم ما سمعوا من رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) من علم، فخرجوا من عنده مصطحبين الكفر في قلوبهم تماما مثلما دخلوا عنده والكفر كامن فيهم.

2 - الإدغام الصغير المتجانس:

قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية/28.

وقع الإدغام المتجانس هنا في كلمة واحدة بين حرفي «الطاء» و«التاء»، ومعروف أنّ في أداء هذا النوع من الإدغام تنعدم الغنة فيه، فهو مثل: «الإدغام الكامل»، وهذا من شأنه أن يوحي - هنا - بمعنى «القطعية»؛ أي أنّ «هابيل» قد اتخذ

قرارا ثابتا في نفسه - مهما كانت النتائج والعواقب - أنه لن يقابل أخاه «قابيل» بمثل صنيعه الفاسد فيكونا سواء في الخطيئة.

3 - الإدغام الصغير المتقارب:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ الآية/12.

وقع الإدغام المتقارب على مستوى هذه الآية في كلمتين عند حرفي: الدال والضاد، وهو إدغام بغير غنة، ممّا يدلّ على التصاق الكلمتين الواقع بينهما هذا النوع من الإدغام التصاقا تامّا؛ أي عدم وجود فاصل أو مسافة زمنية، وكذا يدلّ على العجلة الفائقة. وهذا المعنى يتناسب مع ما يؤديه الإدغام في الآية السابقة؛ إذ يوحي بسرعة الضلال والهلاك، فبالعودة إلى سياق هذه الآية نجد فيها وعد ووعد؛ ففيها أَخَذَ الله العهود والمواثيق على بني إسرائيل، ووعدهم سبحانه وتعالى - والله لا يخلف الميعاد - بالثواب الجزيل إن كانوا من الأوفياء بعهوده، وفي المقابل توعدّهم بالإنم والعقاب المباشر حال نكثهم لعهد الله، وهو الضلال عن الصراط المستقيم كما تشير إليه هذه الآية، إضافة إلى عقوبات أخرى جاء الحديث عنها في الآية الثالثة عشر من هذه السورة، عرضها «ابن كثير» في قوله: «فلما نقضوا عهوده ومواثيقه أعقبهم ذلك لعنا منه لهم وطردها عن بابه وجنّاته، وحجابا لقلوبهم عن الوصول إلى الهدى ودين الحقّ، وهو العلم النافع والعمل الصالح» (39)، ويكمن السرّ في التعجيل والفورية بهذه العقوبات أساسا في النقض بالعهود والإخلاف بالمواثيق، بما فيها من ترغيب وتبشير، والكفر بها من غير مبالاة، فكان العقاب الإلهي قطعي من غير تمهيل أو إعطاء لفرصة أخرى.

خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية تمّ استخلاص جملة من النتائج، يمكن رصدها في النقاط التالية:

- الإدغام ظاهرة صوتية، الغاية منها تحقيق التماثل والتناسب الصوتي، والتخفيف والتيسير في النطق.

- إنّ الإدغام الناقص والكامل ظاهرة تجويدية عامة ومشتركة عند جميع القراء والرواة، في حين نجد الإمام «ورش» رحمه الله تعالى قد تفرّد وتميّز بأحكام معينة خاصة بنوع آخر من الإدغام هو: الإدغام الصغير، سواء وقع بسبب التماثل أو التجانس أو التقارب. - كان لعلاقة أداء ظاهرة الإدغام بالدلالة الصوتية وضوحا وبروزا على مستوى سورة المائدة، حيث تمّ التوصل إلى عقد هذه العلاقة من خلال الجدر اللغوي لمادة «دَعَمَ»، والذي يحيل على معنى الإدخال والامتزاج، ومن جهة أخرى بواسطة الأداء النطقي

الفسولوجي للإدغام، والذي يستغرق أحيانا مسافة زمنية نتيجة ملازمته للغنة، ليوحي بذلك على معاني: الامتداد والاتساع والطول والتمهل كما هو الحال مع الإدغام الناقص، في المقابل قد يُؤدَّى الإدغام بدون الغنة، وهذا يقتضي بالضرورة انعدام مسافة زمنية أثناء النطق به، مما يوحي بمعاني معاكسة على غرار: القطعية، الالتصاق والاتصال، وذلك شأن الإدغام التام، الإدغام المتمثل، الإدغام المتجانس، والإدغام المتقارب... الخ.

العوامل — ش:

* القرآن الكريم.

(1) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 1426هـ/2005م، مادة دَغَمَ.

(*) - النون الساكنة هي: النون الخالية من الحركة، ويتوقف النطق بها على حسب الحرف الآتي بعدها، أما التنوين فهو: نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم لفظا ووصلا، وتفارقه في الخط والوقف، وعلامته: الضمّتان أو الفتحتان أو الكسرتان.

حسام الدين سليم الكيلاني: البيان في أحكام تجويد القرآن، دون دار النشر، السعودية، دط، 1419هـ/1999م، ص60. فواضح من خلال هذين التعريفين أنّ الفرق بينهما يكمن في أنّ النون الساكنة: حرف أصلي، تثبت لفظا وخطا، والتنوين: زائد عن الأصل، يثبت لفظا دون الخط، النون الساكنة: تثبت وصلا ووقفا، في حين أنّ التنوين: يثبت في الوصل دون الوقف، كما أنّ النون الساكنة: تأتي في الأسماء والأفعال والحروف، أما التنوين فلا يكون إلا في الأسماء، النون الساكنة تكون متوسطة ومتطرفة في الكلمة، والتنوين لا يأتي إلا في آخر الكلمة (متطرفا فقط)، النون الساكنة: أحكامها تأتي في كلمة أو كلمتين، أما التنوين فأحكامه لا تأتي إلا في كلمتين... الخ. للمزيد من التوسع ينظر: أحمد محمود عبد السميع الشافعي: الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم في القراءات السبع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2000م، ص28، وسعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 1430هـ/2009م، ص: 170.

(2) حسام الدين سليم الكيلاني: المرجع السابق، ص: 65.

(3) سعاد عبد الحميد: المرجع السابق، ص: 175.

(4) عبد الله بوخلخال: الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1420هـ/2000م، ص: 7.

(5) مختار نويوات ومحمد خان: العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى مشروع دراسة لسانية للدراسة في منطقة الزيبان بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2005م، ص: 41.

- (6) عبد البديع النيرباني: الجوانب الصوتية في كـتـب الاحتجاج للقراءات، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سورية، ط1، 1427هـ/2006م، ص: 103.
- (7) سعاد عبد الحميد: المرجع السابق، ص: 176.
- (**) - التماثل: اتحاد الحرفين المدغمين خطأ ومخرجا وصفة.
- (***) - التقارب: تقارب الحرفين المدغمين مخرجا أو صفة أو هما معا.
- (****) - التجانس: اتحاد الحرفين المدغمين مخرجا واختلافهما صفة، أو العكس.
- (8) ابن جزري، أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الدمشقي: منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، تح: أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط4، 1427هـ/2006م، ص: 7.
- (9) محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، دار البشائر الإسلامية، دب، ط4، 1999م، ص: 173.
- (10) المرجع نفسه، ص: 174.
- (11) سعاد عبد الحميد: المرجع السابق، ص: 176.
- (12) محمود خليل الحصري: المرجع السابق، ص: 176.
- (13) المرجع نفسه، ص: 177.
- (14) ابن جزري، أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الدمشقي: التمهيد في علم التجويد، تح: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط1، 1405هـ/1985م، ص: 155 - 156.
- (15) محمد شملول: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، تقديم: علي جمعة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1427هـ/2006م، ص: 210 - 211.
- (16) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج1، ج6، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط4، 1402هـ/1981م، ص: 335.
- (17) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، مج2، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ومكتبة دار الزيان، الجزائر، ط1، 1423هـ/2002م، ص: 924.
- (****) - الميم الساكنة هي: «الميم التي لا حركة لها، وسكونها ثابت وصلا ووقفا، وتكون أصلية أو زائدة في وسط الكلمة أو متطرفة.» إذن فالميم الساكنة لا هي متحركة ولا هي مشددة، كما أنها ليست متحركة بحركة عارضة للاتقاء الساكنين، ولا هي ساكنة سكونا عارضا للوقف، وهي ميم أصلية تقع في الأسماء نحو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الفاتحة/1، والأفعال نحو: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ﴾ الحج/30، والحروف نحو: ﴿وَلَمْ﴾ المدثر/43، فالميم الساكنة في هذه الأمثلة وقعت متوسطة وكذا متطرفة، وقد تأتي الميم الساكنة زائدة، وتكون في ميم الجمع نحو: ﴿لَهُمْ﴾ فيها/هود/106، وتقع قبل حروف الهجاء كلها إلا أحرف المد الثلاثة لأنها ساكنة، ولا بد أن

تسبقها حركة مجانسة لها، ولا يجتمع ساكنان في اللغة - كما هو متعارف عليه - كما أنها لا تقع قبل همزة الوصل، لأنها تتحرك للالتقاء الساكنين نحو: ﴿عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ﴾ البقرة/216. وتتعلق بالميم الساكنة في علم التجويد ثلاثة أحكام هي: الإخفاء الشفوي، الإدغام الشفوي والإظهار الشفوي، وإنما سميت شفوية لأمرين اثنين: «الأول لكون الميم حرف شفوي، والآخر لِيُفَرَّقَ بينها وبين أحكام النون الساكنة.» للمزيد من التوسع ينظر: سعاد عبد الحميد: المرجع السابق، ص 187 و: عبد الكريم مقيدش: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، دط، 2008م، ص: 70.

(18) صلاح صالح سيف: العقد المفيد في علم التجويد، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط1، 1408هـ/1987م، ص ص: 27 - 28.

(*****). - إنَّ الإدغام الكبير كما أشرنا لا يوجد عند الإمام «ورش» إلا في المتماثلين، وقد ورد هذا النوع من الإدغام في مواضع عدّة من سورة المائدة، ومن هذه المواضع حسب مقرأ الإمام «ورش» لها نورد على سبيل الذكر لا الحصر قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ نَحْنُ﴾ الآية/52 [الإدغام الكبير واقع بين النونين المتحركين بالفتح]، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ الآية/72 [الإدغام الكبير واقع بين الهاء المتحركة بالفتح والهاء المضمومة]، ﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ الآية/73 [الإدغام الكبير واقع بين الثاء المضمومة والثاء المفتوحة]، ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ الآية/89 [الإدغام الكبير واقع هنا بين الراء المتحركة بالضمّ وأخرى متحركة بالفتح]، ﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ الآية/95 [الإدغام الكبير واقع بين الميم المضمومة والميم المفتوحة]، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ﴾ الآية/100 [الإدغام الكبير واقع هنا بين كافين متحركتين بالفتح]، ﴿الْمَوْتُ تَحْبِسُونَهُمَا﴾ الآية/106 [الإدغام الكبير واقع هنا بين تائين الأولى متحركة بالكسر، والأخرى بالفتح]، ... الخ.

ملاحظة: لا يمكن مثلا أن نجعل قوله تعالى: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الآية/04، أو قوله: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي﴾ الآية/85 من سورة المائدة، ضمن الإدغام المتماثل الكبير للالتقاء «الراء» المتحركة بالضمّ، بأخرى متحركة بفتح أو «الثاء» المتحركة بالكسر بمثلتها المتحركة بالفتح، وذلك لكون المثال الأول إدغامًا تامًا خاصًا بالتنوين وليس إدغامًا كبيرًا، وكون المثال الثاني إخفاءً حقيقياً خاصًا بالتنوين أيضا وليس إدغامًا كبيرًا،...وقس على ذلك مع بقية المواضع المماثلة.

(19) محمد سالم محيسن: القراءات وأثرها في علوم العربية، ج1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، دط، 1404هـ/1984م، ص: 92.

(20) المرجع نفسه، ص ن.

(21) نفسه، ص 93.

(22) نفسه، ص ن.

(23) ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، مج 3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/2003م، ص: 22.

(24) المصدر نفسه، مج 3، ص ص: 23 - 24.

(*****). - هي عبارة عن تقارب أو تجانس أو تماثل حاصل بين صوتين متماسين، يؤدي إلى

تقارب في مخرجي الصوتين وصفاتهما أو إلى تماثل تام يتجلى في الإدغام. ينظر: عصام نور الدين: علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص: 240.

(25) عبد العلي بن عبد الرحمن المسئول: القراءات الشاذة ضوابطها واحتجاج بها في الفقه والعربية، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ودار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ/2008م، ص: 309.

(*****). - من مواضع هذا النوع من الإدغام في سورة المائدة الكلمات التالية: ﴿حَلَّتُمْ﴾ الآية/2، ﴿أَتَمَّمْتُ﴾ الآية/3 و﴿يَرْتَدُّ﴾ الآية/54،... الخ، قرأ الإمام «ورش» الكلمة الأخيرة بفتك الإدغام، أما الإمام «حفص» وباقي القراء فبالإدغام هكذا: ﴿يَرْتَدُّ﴾ الآية/54.

(26) فهمي علي سليمان: المنير الجديد في أحكام التجويد، دار النصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 1990م، ص: 80.

(27) المرجع نفسه، ص: 83.

(28) محمد نيهان بن حسين مصري: الإستبرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرقي (الشاطبية)، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، السعودية، ط2، 1428هـ/2007م، ص 70.

(*****). كثيرة هي مواضع «الإدغام الصغير المتماثل» في سورة المائدة عند حرفي «الميم»؛ أي الإدغام الشفوي المشار إلى بعض مواضعه سابقا، و«النون»؛ أي الإدغام الناقص المشار إلى بعض مواضعه سابقا، ولا داعي لإعادة كل هذه المواضع، ولكن نورد هنا بعض النماذج للتوضيح كما يلي:

- الميم: في قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِّيثَاقَهُمْ﴾ الآية/13، ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ الآية/20، ﴿قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ الآية/52، ﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الآية/57، ﴿أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً﴾ الآية/82، ﴿مِنْكُمْ مُتَعَبِدًا﴾ الآية/95، ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ الآية/106... الخ.

- النون: في قوله تعالى: ﴿لَنْ نَدْخُلَهَا﴾ الآية/22، ﴿أَنْ نَأْكُلَ﴾ الآية/115.

فضلا عن هذه المواضع، فقد أدغم الإمام «ورش» الواو الساكنة المفتوح ما قبلها (الواو اللينة)، عند مجاورتها للواو إدغاما صغيرا متماثلا، ومن أمثلة هذا الإدغام في نص سورة المائدة نذكر النماذج التالية: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ الآية/78، وقوله أيضا: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الآية/95.

(29) ينظر: المرجع نفسه، ص: 71.

(30) فهمي علي سليمان: المرجع السابق، ص 81.

(31) غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، ودار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط3، 2014م، ص: 74 - 75.

(32) المرجع نفسه، ص: 75 - 76.

(35) ينظر: نفسه، ص ص: 78، 80.

(36) ينظر: نفسه، ص ص: 79 - 80.

(37) نفسه، ص: 80.

(38) نفسه، ص ن.

(39) ابن كثير: المصدر السابق، مج 2، ص: 920.

